رَضِيتُ بِمَا تَرْضَى بِهِ لِي مَحَبَّةً
وَقُدْتُ إِلَيْكَ النَّفْسَ قَوْدَ الْمُسَلِّمِ (١)
وَمِثْلُكَ مَنْ كَانَ ٱلْوَسِيطَ فُؤَادُهُ
فَكَلِّمَهُ عَنِّي وَلَمْ أَتَكَلَّمِ (٢)

من الحِمام إلى الحِمام

نالت أبا الطيب بمصر حُمَّى فقال يصفها ويعرض بالرحيل عن مصر وذلك في ذي الحُجة سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة (٩٥٩م):

[الوافر]

مَلُومُكُمَا يَجِلُّ عَنِ الْمَلَامِ
وَوَقْعُ فَعَالِهِ فَوْقَ الْكَلَامِ (٣)
ذَرَانِي وَالْفَلَاةَ بِلَا دَلِيلٍ
وَوَجْهِي وَالْهَجِيرَ بِلَا لِثَامِ (٤)

= أنه يعلم مقدار عمره لقسّمه أقساماً أربعة وجعل ثلاثة منها لانتظار تحقيق وعده، وهنا يُنبهه محذّراً أنه قد يُغيّر مسلكه معه فيُقدم على أمر لا تُحمد عقباه.

(١) استدرك الشاعر بعد كتاب كافور أنه راضٍ بما يُرضيه محبّةً وانقياداً بطواعية آملاً أن يتصرّف كافور بما يرضيهما معاً وما يجمعهما من حبّ، فقد سلّم إليه أمره.

(٢) وبمكر ذكي جعل الشاعر فؤاد كافور وسيطاً وحكماً بينهما، إنه يقبل به حكماً، لأنه يعلم يقيناً بشدّة حساسية قلبه، فلا يحوجه إلى الكلام والترجّي.

(٣) يُخاطب الشاعر صاحبيه موافقاً على لومهما له، إنه بدافع الحبّ والغيرة وذلك لأنه يُخاطر بنفسه في بلاد يفتقد فيها إلى صاحب ومُعين، ولكن الأمر ليس بيده، إنه الطموح إلى المجد، لذا فإنه أجلّ من أن يُلام لنبل الهدف وسمو المحاولة.

(٤) ذراني: اتركاني. الفلاة: الصحراء. الهجير: حرّ الظهيرة في الصيف. يطلب الشاعر من صاحبيه أن يتركاه وشأنه يُواجه مصيره بما أوتي من قوّة، إنه يُواجه الصحراء بحرّها اللاهب في الظهيرة، لا دليل يهديه على مجاهلها، لأنه على علم بفلواتها ووديانها وجبالها، ولقد اعتاد على رياحها اللاهبة التي تحمل معها رمالاً فلا يحتمي منها بلثام أو يختبئ في هضابها.

فَـــإِنِّـــي أَسْـــتَـــرِيـــحُ بِـــذِي وَهٰـــذَا
وَأَتْـــعَـــبُ بِـــالإِنَـــاخَـــةِ وَالـــمُـــقَـــامِ[١]
عُـــيُـــونُ رَوَاحِـــلِـــي إِنْ حِـــرْتُ عَـــيْـــنِـــي
وَكُـــلُّ بُـــغَـــامِ رَازِحَـــةٍ بُـــغَـــامِـــي[٢]
فَـــقَـــدْ أَرِدُ الـــمِـــيَـــاهَ بِـــغَـــيْـــرِ هَـــادٍ
سِـــوَى عَـــدِّي لَـــهَـــا بَـــرْقَ الْـــغَـــمَـــامِ[٣]
يُـــذِمُّ لِـــمُـــهْـــجَـــتِـــي رَبِّـــي وَسَـــيْـــفِـــي
إِذَا احْـــتَـــاجَ ٱلْـــوَحِـــيـــدُ إِلَـــى الـــذِّمَـــامِ[٤]
وَلَا أُمْـــسِـــي لِأَهْـــلِ الْـــبُـــخْـــلِ ضَـــيْـــفـــاً
وَلَـــيْـــسَ قِـــرَى سِـــوَى مُـــخِّ الـــنَّـــعَـــامِ[٥]

(١) الإناخة: النزول. المقام: البقاء والإقامة. ولطول تعرّفه على عالم الصحراء تآلف مع أجوائها وحيوانها وجغرافيتها، فتارة ينزل هنا وطوراً يقيم هناك، وهكذا تمضي حياته دون إحساس بالملل أو الكراهية لنمط حياته فيها ومعها.

(٢) ورد البيتان التاليان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٩. الرواحل، الواحدة راحلة: الناقة. بغام الناقة: صوتها. ومع أن الشاعر عليم بعالم الصحراء يستهدي بنجومها ليلاً وبرياحها نهاراً، وقد يحتار بالاهتداء إلى معالم الطريق فإنه يستهدي برواحله التي اعتادت على مسالك الصحراء، فكأنها عيون أخرى يستعين بها تساعده في وجهة سيره. وهو لا يستغني عن صوتها ليسمع سكّان الصحراء من البدو بغامها، فينوب عن فصيح عبارته وتُؤدي دور المبلّغ عنه.

(٣) وممّا يدلّ على معرفته الجيّدة في عالم الصحراء، أنه يرد مواطن المياه بلا دليل، فضلاً عن معرفته بالأنواء فهو يشيم الأمطار بالنظر إلى السماء فيراقب لمع البرق فيعدّ سبعين برقة أو مائة فيتأكد له أن المطر سيهطل، فيتابع مساقط الغيث فيتزوّد بالماء العذب النمير.

(٤) يذم له: يُعطيه الذمة والعهد، المهجة: الروح. يفخر الشاعر أنه يرحل منفرداً في الصحراء، فلا يعرف معنًى للخوف، لأنه في ذمّة اللّه عزّ وجلّ ووعده وخفارته، وإلى جانبه سيفه يعتمد عليه يحتمي به من الأعداء.

(٥) القرى: الضيافة. يُنوّه الشاعر بعزّة نفسه وترفّعه، إنه لا يقصد بخيلاً يبغي ضيافته بل إنه يكتفي بمخّ النعامة، ولا مخّ لها أو ببيضها في عالم الصحراء البخيل بطبيعته. أي =

وَلَـــمَّـــا صَـــارَ وُدُّ الـــنَّـــاسِ خِـــبًّـــا
جَـزَيْـتُ عَـلَـى ابْـتِـسَـامٍ بـابْـتِـسَـامِ[١]
وَصِـرْتُ أَشُـكُّ فِـي مَـنْ أَصْـطَـفِـيـهِ
لِـعِـلْـمِـي أَنَّـهُ بَـعْـضُ ٱلْأَنَـامِ[٢]
يُـحِـبُّ الْـعَـاقِـلُـونَ عَـلَـى الـتَّـصَـافِـي
وَحُـبُّ ٱلْـجَـاهِـلِـيـنَ عَـلَـى ٱلْـوَسَـامِ[٣]
وَآنَـــفُ مِـــنْ أَخِـــي لِأَبِـــي وَأُمِّـــي
إِذَا مَـــا لَـــمْ أَجِـــدْهُ مِـــنَ الْـكِـــرَامِ[٤]
أَرَى الْأَجْـدَادَ تَـغْـلِـبُـهَـا كَـثِـيـراً
عَـلَـى الْأَوْلَادِ أَخْـلَاقُ الـلِّـئَـامِ[٥]

= أنه لا يأكل ويفضل البقاء على الطوى إن لم ينل كريم المأكل عند من يقدّر له حقّه.

(١) ورد البيتان التاليان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٠. الخبّ: الخداع. إنها الحياة عندما تفسد المبادئ ويدبّ فيها العفن المزخرف بالتملّق والخداع، وتتلوّن بألوان الكذب المموّه بالابتسامات ترتسم على الشفاه ولا تصل إلى الأعماق سرعان ما تختفي تاركةً وراءها سخرية جارحة ونفوساً شوّهتها الأطماع والحسد، وبدون أدنى مقاومة لنوازع الشرور استسلم الشاعر وانحرف مع التيار، فباتت ابتساماته بلا هوية ولا دليل.

(٢) الأنام: الخلق. الشكّ حالة سلبية سببها الخوف وعدم الثقة بالطبيعة الإنسانية وصفائها بما تحمله من نوازع الخير: إنها نظرة سوداوية لمسها الشاعر في بني عصره، لذا حمله الشكّ على الكراهية لكلّ الناس، لذا فلا يُمكنه أن يختار صديقاً يلجأ إليه يبثّه آلام نفسه فيُشاركه أفراحه كما يُشاركه أحزانه، والمشكلة فيه، فقد نظر إلى الخلق نظرة استعلاء واحتقار، فكانت ردّة الفعل من قبلهم بمستوى نظرته لهم.

(٣) الوسام، الوسامة: جمال الخلقة. يُصنف الشاعر البشر صنفين، فالعقلاء يتحابون بعقولهم قبل حبّهم بعيونهم وأحاسيسهم، فيكون بينهم ودّ وصفاء، أما الجهلة فإنهم يتحابّون بعيونهم وأحاسيسهم وغالباً ما يُخطئون حسب رأي الشاعر، وليست مقولته قابلة التطبيق بشكل مطلق.

(٤) آنف: استنكف. إنه يتبرّأ من شقيقه إن لم يكن كريم الخلق والنفس.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٠. يتحدّث الشاعر عن أثر الوراثة =

وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ
بِأَنْ أُعْزَى إِلَى جَدٍّ هُمَامِ[١]
عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدٌّ وَحَدٌّ
وَيَنْبُو نَبْوَةَ الْقَضِمِ الْكَهَامِ[٢]
وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي
فَلَا يَذَرُ الْمَطِيَّ بِلَا سَنَامِ[٣]
وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئاً
كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ[٤]

= في النشء، فالأبناء صورة عن الآباء والأجداد، فاللؤم طبيعة يرثها الخلف عن السلف.

(١) أعزى: أنسب. الهمام: السيد الشجاع السخيّ، إنها وجهة نظر صحيحة في عالم العُصاميين من الرجال، ولكن العربي الأصيل يبحث دائماً في تاريخ الأنساب علّه يجد من ينتسب إليه من العظماء. وبناءً عليه يبدو أن المتنبي لم يجد في سلسلة أجداده من يسدّ طموحه للانتساب إليه، فبقي يُعاني من حالة الضياع حتى وجد الحلّ في نفسه فراح يفخر بنفسه.

(٢) القدّ: القامة. الحدّ، يقصد بذلك حدّ السيف. نبا السيف: كلّ عن الضرب. القضم: السيف الذي فيه فلول. الكهام: السيف الذي لا يقطع. يستغرب الشاعر ممن يتمتّع بقوّة الشباب ويُلغي دوره فينزوي في وهدة التواني ولا يتمتّع بالإرادة الصلبة ومضاء العزيمة.

(٣) يذر: يترك. المطيّ: الإبل. السنام: ما بدا من ظهر البعير. يُردف الشاعر مبيناً استغرابه، ومعبراً عن دهشته من امرئ توفرت له كلّ أسباب العظمة والأمجاد ولا يسعى جاهداً لتحقيق أَربه من هذه الحياة، فالأقوياء هم الذين يُمسكون بأيديهم كتلة النار الملتهبة يُنيرون بها سبل حياتهم وحياة سائر البشر، فالمطايا موجودة والطريق بحاجة إلى السائرين بدربها.

(٤) إنه يستحثّ نفسه على المغامرة؛ فالعيب بمن يكون قادراً ويتراخى إلى الكسل ويؤثر الدّعة على المحاولة، فحتى لو فشل، فالفشل سببه عدم دقّة تنفيذ المحاولة، فلا بدّ من تعديل مسار المحاولة حتى يُكتب لها النجاح. أما من تراخت به همّته أو من لا تتوفّر له الوسائل فلا لوم عليه.

أَقَــمْــتُ بِــأَرْضِ مِــصْــرَ فَــلَا وَرَائِــي
تَــخُــبُّ بِــيَ الــرِّكَــابُ وَلَا أَمَــامِــي (١)
وَمَــلَّــنِــيَ ٱلْــفِــرَاشُ وَكَــانَ جَــنْــبِــي
يَــمَــلُّ لِــقَــاءَهُ فــي كُــلِّ عَــامِ (٢)
قَــلِــيــلٌ عَــائِــدِي سَــقِــمٌ فُــؤَادِي
كَــثِــيــرٌ حَــاسِــدِي صَــعْــبٌ مَــرَامِــي (٣)
عَــلِــيــلُ ٱلْــجِــسْــمِ مُــمْــتَــنِــعُ الْــقِــيَــامِ
شَــدِيــدُ الــسُّــكْــرِ مِــنْ غَــيْــرِ الــمُــدَامِ (٤)
وَزَائِــرَتِــي كَــأَنَّ بِــهَــا حَــيَــاءً
فَــلَــيْــسَ تَــزُورُ إِلَّا فــي الــظَّــلَامِ (٥)

(١) الخبب: ضرب من سير الإبل. الركاب: الإبل. لقد عرف الشاعر في مصر حياة الخمول فافتقد حياة المغامرة التي عرفها في عهد سيف الدولة، لذا فهو لا يتنقل بواسطة الإبل، بل إنه كان مجبراً على الإقامة كأنه تحت الإقامة الجبرية.

(٢) لقد ملّ الفراش لاستمرار مرضه كما ملّه الفراش، وليس ذلك من عادته، فقد كان يحلو له النوم ليستريح في كل عام مرّة واحدة حيث يمكث طلباً للراحة من تجوال لا يهدأ، فإذا بالفراش يزيد ألمه على ألم المرض.

(٣) يُعدّد الشاعر ما تراكم عليه من المصائب. الغربة كربة، وبخاصة إذا ألمّ بالمرء مرض، فإحساسه بالغربة يكاد يكون قاتلاً، فالأصدقاء الحقيقيون قليلون، فثمّة من يتجسّس عليهم ممّا يردعهم عن زيارة المريض وعيادته، والقلب ما عاد يتحمّل العذاب، العذاب النفسي والمرض الجسدي، وفي زوايا الحياة حسّادون كثيرون يتمنّون الخلاص من الشاعر وكلّ منهم له أسبابه الخاصّة التي تدعوه إلى ذلك، وما يزيد الطين بلّة أن إلحاحاً داخلياً يدعو الشاعر لمتابعة النضال علّه يدرك أملاً يُراوده باستمرار رغم صعوبة إدراكه في ظروف معاكسة.

(٤) المدام: من أسماء الخمرة. يتابع الشاعر حديثه عن مصائبه، إنه يُعاني مرضاً ألزمه الفراش، فلا يستطيع حراكاً، ولقد تراكمت الأحزان في رأسه حتى بدا كأنه سكران رغم أنه لم يتعاط الخمرة، إنه بحر تضطرب فيه أمواج عاتية من كلّ جانب، نواح، هموم، أحزان، غربة، مرض، حسد، توق إلى المجد.

(٥) وردت الأبيات الستة المتوالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٠. الليل =

بَـذَلْـتُ لَـهَـا الـمَـطَـارِفَ وَالـحَـشَـايَـا
فَـعَـافَـتْـهَـا وَبَـاتَـتْ فـي عِـظَـامِـي (١)
يَـضِـيـقُ ٱلْـجِـلْـدُ عَـنْ نَـفْـسِـي وَعَـنْـهَـا
فَـتُـوسِـعُـهُ بِـأَنْـوَاعِ الـسِّـقَـامِ (٢)
كَـأَنَّ الـصُّـبْـحَ يَـطْـرُدُهَـا فَـتَـجْـرِي
مَـدَامِـعُـهَـا بِـأَرْبَـعَـةٍ سِـجَـامِ (٣)
أُرَاقِـبُ وَقْـتَـهَـا مِـنْ غَـيْـرِ شَـوْقٍ
مُـرَاقَـبَـةَ الْـمَـشُـوقِ الْـمُـسْـتَـهَـامِ (٤)

= موطن الأحلام، يحلو للمرء أن يخلو بطيف الحبيب، لكن زائرة الشاعر سمجة مكروهة كرست الليل لنفسها تزيده بشعور الخوف والألم والوحدة، والنهار مسرح الحركة والليل مسرح الاستقرار، يخلو من الحركة ممّا يسمح للشاعر الفرار من زائرته المكروهة بكلّ ما تُمثّل من قبح، إنها تجثم على قلبه وكاهله في ليل تلهو به كما يحلو لها.

(١) المطارف، الواحد مطرف: رداء من خزّ في جنبه علمان. الحشايا، الواحدة حشية: الفراش المحشو. عاف: كره. لقد هيّأ الشاعر كل وسائل الراحة للحمى من مطارف وحشايا، ولكنها رفضت تلك الضيافة وفضّلت أن تبيت في عظامه لتذيقه أنواعاً من العذاب أليمة بمكرها وجنونها.

(٢) السقام: الأمراض. ينتج عن مبيت الحمّى في أوصال الشاعر وعظامه عدم القدرة على احتمال ذلك العذاب، فإذا بجلده يفقد الصبر فلا يعود يحتمل الألم وتكاد أنفاسه تتقطّع لشدّة معاناته. وتتّسع دائرة الآلام، فإذا كلّ ما في جسده يتألم وتزداد أنواع أسقامه.

ـ ورد بعد هذا البيت بيت لم يرد في الديوان، وورد في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٠، وهو التالي:

إِذَا مَـا فَـارَقَـتْـنِـي غَـسَّـلَـتْـنِـي كَـأَنَّـا عَـاكِـفَـانِ عَـلَـى حَـرَامِ

(٣) سجم الدمع: سال، انسكب، المدامع: مجاري الدمع. يحمل الصبح فرجاً، فإذا بالحمّى تنسلّ تاركة جسداً أنهكه المرض، فإذا بدموعها تنسكب لشدّة حزنها فكأنها لا ترغب بمغادرة ضحيّة سهل عليها الإمساك بها وعدم تركها أبداً.

(٤) المستهام: المتحيّر الذاهب في الأرض على وجهه من شدّة حبّه. حمل الشاعر خوفه =

وَيَـصْـدُقُ وَعْـدُهَـا وَالـصِّـدْقُ شَـرٌّ
إِذَا أَلْـقَـاكَ فـي الْـكُـرَبِ الْـعِـظَـامِ[١]
أَبِـنْـتَ الـدَّهْـرِ عِـنْـدِي كُـلُّ بِـنْـتٍ
فَـكَـيْـفَ وَصَـلْـتِ أَنْـتِ مِـنَ الـزِّحَـامِ[٢]
جَـرَحْـتِ مُـجَـرَّحـاً لَـمْ يَـبْـقَ فِـيـهِ
مَـكَـانٌ لِـلـسُّـيُـوفِ وَلَا الـسِّـهَـامِ[٣]
أَلَا يَـا لَـيْـتَ شِـعْـرَ يَـدِي أَتُـمْـسِـي
تَـصَـرَّفُ فـي عِـنَـانٍ أَوْ زِمَـامِ[٤]
وَهَـلْ أَرْمِـي هَـوَايَ بِـرَاقِـصَـاتٍ
مُـحـلَّاةِ الْـمَـقَـاوِدِ بِـالـلُّـغَـامِ؟[٥]

= الشديد على توقّع مجيء تلك الزائرة المرغوب عدم زيارتها، فإذا به يترقّب مقدمها برعب يزداد كلما حان موعد زيارتها، كأنه عاشق متيّم ينتظر حضورها بفارغ الصبر.

(١) الكرب، الواحدة كربة: الحزن يأخذ في النفس. إنها صادقة الوعد، لا تُخلف وعداً، ووعدها أسوأ من الكذب في هذه الحالة، لأنه يحمل معه عذاباً لا يُحتمل وآلاماً تكاد تقضي عليه.

(٢) بنات الدهر: مصائبه. يُخاطب الشاعر الحمّى إنها بنت الدهر، فمصائبه تتوالى عليه فتزيده بلاء على بلواه، فتتراكم عليه المصائب، وأسوأ النوائب مرض لم يُحسب له حساب.

(٣) يُردف الشاعر خطابه للحمّى، فقد زادت من جراحه، وأخطر تلك الجراح الجراح النفسية وأقلّها خطراً جراح السيوف والسهام، وتلك الجراح سرعان ما تشفى وتلتئم بمرور الزمن. أما الجراح النفسية قد تزيد آلاماً بمرور الوقت.

(٤) وردت الأبيات الأحد عشر المتوالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٠. العنان: الزمام، المقود. يتمنّى الشاعر لنفسه الشفاء ليعود إلى حالته الطبيعية فيُمسك بزمام فرس أو بمقود ناقة. يُستشفّ من ذلك صعوبة ما كانت عليه حالته المرضية، وعلى يأسه من الشفاء.

(٥) هواي: رغبتي. الراقصات: يقصد بإبل تسير رقصاً، وهو ضرب من الخبب. محلّاة: مزيّنة. اللغام: الزبد الخارج من شدق البعير. يُردف الشاعر متابعاً أمنياته؛ إنه يتمنّى لو استطاع امتطاء إبل راقصات تسير مسرعة وقد تجمّد الزبد في أشداقها فبدا كحلًى فضية، فيمضي عليها إلى حيث يحلو له الرحيل دون عوائق تُذكر.

فَـرُبَّـتَـمَـا شَـفَـيْـتُ غَـلِـيـلَ صَـدْري
بِـسَـيْـرٍ أَوْ قَـنَـاةٍ أَوْ حُـسَـامِ (١)
وَضَـاقَـتْ خُـطَّـةٌ فَـخَـلَـصْـتُ مِـنْـهَـا
خَـلَاصَ الْـخَـمْـرِ مِـنْ نَـسْـجِ الْـفِـدَامِ (٢)
وَفَـارَقْـتُ ٱلْـحَـبِـيـبَ بِـلَا وَدَاعٍ
وَوَدَّعْـتُ الْـبِـلَادَ بِـلَا سَـلَامِ (٣)
يَـقُـولُ لِـيَ الـطَّـبِـيـبُ أَكَـلْـتَ شَـيْـئـاً
وَدَاؤُكَ فِـي شَـرَابِـكَ وَالـطَّـعَـامِ (٤)
وَمَـا فِـي طِـبِّـهِ أَنِّـي جَـوَادٌ
أَضَـرَّ بِـجِـسْـمِـهِ طُـولُ الْـجَـمَـامِ (٥)
تَـعَـوَّدَ أَنْ يُـغَـبِّـرَ فِـي الـسَّـرَايَـا
وَيَـدْخُـلَ مِـنْ قَـتَـامٍ فِـي قَـتَـامِ (٦)
فَـأُمْـسِـكَ لَا يُـطَـالُ لَـهُ فَـيَـرْعَـى
وَلَا هُـوَ فِـي الْـعَـلِـيـقِ وَلَا الـلِّـجَـامِ (٧)

(١) الغليل: العطش الشديد. القناة: الرمح. الحسام: السيف البتّار. يُتابع الشاعر أمنيّته، فيكون نتيجتها شفاء عطش صدره، ممّا ألمّ به من مرض، حرّية الحركة والسير كما يحلو له أو يُقاتل برمح أو سيف قاطع.

(٢) و (٣) الخطّة: الأمر. الفدام: ما يجعل على فم الإبريق لتصفية ما فيه. يُتابع الشاعر ذكر ما يحصل له في شفائه، إنه في ضيق شديد وشفاؤه يُساعد على الخلاص ممّا هو فيه بإيجاد حيلة للخلاص من محاصرته بأهون الأسباب كما تخلص الخمرة من النسيج الذي تُشدّ به أفواه الأباريق. فيتمّ له رحيل مدروس بدقّة على عجل فيُفارق أحبّته بلا وداع ولا يودّع تلك البلاد بلا سلام.

(٤) و (٥) الجمام: الراحة. ينقل الشاعر حوار الطبيب معه بأن مرضه سببه بعض أنواع من المآكل تسبّب ضرراً وبعض أنواع من الأشربة، فيردّ الشاعر عليه بأن سبب مرضه نفسي، ذلك أنه بمثابة جواد حرّ، ولقد أساء إليه فتور همته عن الحركة فتبلّدت قواه.

(٦) و (٧) يُتابع الشاعر وصف حالته، فمن عادة ذلك الجواد أنه كان ينطلق ضمن جيش غازٍ يخترق المعترك والغيوم تتصاعد متشابكة، فالغبار كثيف لتلاحم المقاتلين، والآن =

فَـإِنْ أَمْـرَضْ فَـمَـا مَـرِضَ اصْـطِـبَـارِي
وَإِنْ أُحْـمَـمْ فَـمَـا حُـمَّ اعـتِـزَامِـي[١]
وَإِنْ أَسْـلَـمْ فَـمَـا أَبْـقَـى وَلٰـكِـنْ
سَـلِـمْـتُ مِـنَ الْـحِـمَـامِ إِلَـى الْـحِـمَـامِ[٢]
تَـمَـتَّـعْ مِـنْ سُـهَـادٍ أَوْ رُقَـادٍ
وَلَا تَـأمُـلْ كَـرًى تَـحْـتَ الـرِّجَـامِ[٣]
فَـإِنَّ لِـثَـالِـثِ الـحَـالَـيْـنِ مَـعْـنًـى
سِـوَى مَـعْـنَـى انْـتِـبَـاهِـكَ وَالـمَـنَـامِ[٤]

المجد للسيف لا للقلم

قال بالكوفة يرثي فاتكاً ويذكر مسيره من مصر:

[البسيط]

حَـتَّـامَ نَـحْـنُ نُـسَـارِي الـنَّـجْـمَ فـي الـظُّـلَـمِ
وَمَـا سُـرَاهُ عَـلَـى خُـفٍّ وَلَا قَـدَمِ[٥]

= إنه شبه سجين لا يستطيع حراكاً ولا يُسمح له ممارسة هوايته، وما يزيد بألمه أنه رهين الفراش فضلاً عن محاولة كافور شلّ حركته مخافة فراره لئلا يهجوه.

(١) أحمم: من الحمّى. يُقرّ الشاعر بأن جسده في حالة إعياء شديد نتيجة ما ألمّ به من مرض، ولكنّ روحه وإرادته وعزمه لم ولن يُؤثر فيها شيء، بل إنه يتمتّع بإرادة صلبة وعزيمة لا تُقهر.

(٢) الحِمام، بكسر الحاء: الموت. يُقرّ الشاعر بأن آتيه حتماً، فإن نجا من الحمّى، فلن يُفلح من الإفلات من براثنه، فلا بدّ من توفّر أسبابه ذات يوم.

(٣) السهاد: السهر. الكرى: النعاس. الرّجام، الواحدة رجمة: حجارة تنصب على القبر. ينطق الشاعر بلسان من مرّ بأزمة عنيفة، ففي حال عودة المرء إلى حال طبيعية فعليه أن ينتهز فرصة الحياة ويتنعّم فيسهر ويفرح ويلهو وينام قبل ممات ونوم طويل في قبر تكدّست عليه أحجار الرجام.

(٤) يقصد الشاعر بثالث الحالين الموت فهو حالة عدميّة تنعدم حركة ابن آدم فيها خلاف حالتي السهر والنوم. يُحسّ المرء انكساراً نفسياً واستسلاماً من قبل الشاعر في مواجهة عبثية الحياة المادية لعدم اهتمامه لما بعد الحياة.

(٥) السرى: السير ليلاً. الخفّ للبعير: بمثابة الحافر للدابة. يبدأ الشاعر قصيدته =